

## عجـزوءة العـرفـة

### الحقيقة

#### الرأي و الحقيقة

**عاستون باشلار:** الرأي عائق أمام الحقيقة  
الحقيقة يجب أن تنفصل عن الرأي، لأنه يشكل عائقا معرفيا لها و لتقدم العلم، و يحول دون بلوغها و دون بناء المعرفة العلمية، لكونه نتيجة لتجربة متراكمة قد تحتوي بدون وعي أخطاءا و أوهاما و تناقضات. لهذا يجب هدم الرأي و تخطيه أثناء السعي إلى الحقيقة. فالحقيقة العلمية لا تبنى على الافتراض و إنما على بحث علمي خاضع لمنهجية دقيقة.  
**قولة:** {لا يمكن تأسيس أي شيء على الرأي... لأنه أول عائق ينبغي تخطيه}

**لينتز:** الرأي القائم على الإحتمال ضروري في بناء المعرفة  
الرأي القائم على الإحتمال قد يشكل مدخلا نحو بلوغ اليقين و الحقيقة، لأنه ضروري في بناء كل معرفة إنسانية بما فيها المعرفة التاريخية و الإجتماعية، و خاصة علوم البرهان و المنطق التي تتشكل من النقص بفعل ضعف درجة الإحتمال فيها. لهذا فالرأي أيضا له دور في تأسيس المعرفة الإنسانية و العلمية.

**قولة:** {الرأي القائم على الإحتمال قد يستحق اسم المعرفة}

#### معايير الحقيقة

**رونه ديكرت:** معيار الوصول إلى الحقيقة هو البدهة  
معيار حقيقة الأشياء هو البدهة، فالأفكار الحقيقية و الدقيقة تتوفر على خصائص البدهة و تكون واضحة و متميزة و بسيطة، حيث يتم التوصل إليها عن طريق حدس البديهيات العقلية و استنباط الحقيقة العلمية منها بدون تجربة الحواس الخداعة. لذا فالحقيقة معيار ذاتها، و الشك ضروري للوصول إلى بدهة الأشياء.

**قولة:** {لا تقبل إلا الأفكار الواضحة و المتميزة}

**لينتز:** معيار الحقيقة هو البرهان و المنطق  
معيار صدق الأفكار هو بعدها المنطقي، فالأفكار الحقيقية هي الأفكار التي تخضع للبرهنة و الاستدلال المنطقي. لذا يجب عدم قبول صدق فكرة دون البرهنة على صحتها بشكل منطقي و واقعي فقط عن طريق الإكتفاء بدرجة معينة من الإحتمال.

**قولة:** {يلحق الخلل مادة الشيء، حينما نقبل... بالتخلي عن ما هو مبرهن و العودة إلى المبادئ}

#### الحقيقة بوصفها قيمة

**ويليام جيمس:** قيمة الحقيقة تتمثل في تحقيقها للمنفعة  
الحقيقة ليست قيمة في ذاتها، و إنما تكمن قيمتها في منفعتها، أي في كونها وسيلة لتحقيق غايات و رغبات مرتبطة بالجانب المادي الذي يتمثل في السعي إلى تحقيق المنفعة و المصلحة. فالشيء الحقيقي في الأصل هو ما يحقق للذات منفعة و يتم إخضاعه لتجربة الواقع، فإذا كان نافعا للفكر و مفيدا للسلوك صار حقيقيا، و إذا كان غير ذلك فليس له أية قيمة.  
**قولة:** {الأفكار الحقيقية هي التي نستطيع أن نستوعبها و أن نصادق على صحتها}

**كبير كجان:** قيمة الحقيقة تتمثل في كونها غاية و فضيلة  
الحقيقة غاية في ذاتها، أي أنها قيمة أخلاقية يسعى الإنسان إلى بلوغها من دون التفكير في جانبها المادي و مردوديتها. و بهذا تتحول الحقيقة إلى فضيلة كبرى تحمل بعدا أخلاقيا يسعى إلى الحقيقة في ذاتها خارج أي منفعة مبتغاة من ورائها. و ما دامت هذه الحقائق غير قابلة للتعلم فهي غير موجودة.

**قولة:** {نحن نسعى للبحث عن الحقيقة ما دام لزاما علينا تعلمها}

### مسألة العلمية في ع. إنس

#### مشكلة موضوعة الظاهرة الإنسانية

**ميشيل فوكو:** الظاهرة الإنسانية يصعب مقارنتها لكونها متعددة الأبعاد  
الظاهرة الإنسانية ظاهرة يصعب الإمساك بناصيتها و مقارنتها أو موضوعها بطريقة علمية، لكونها معقدة تتداخل فيها مجموعة من الأبعاد (نفسية، اجتماعية...)، فضلا عن أنها تشكل نقطة تقاطع عدة علوم (علم النفس، علم الاجتماع...)، على عكس الظاهرة الطبيعية التي تتميز بالبساطة و القابلية للتكرار و التجريب مما يجعل دراستها مبسطة من الناحية العلمية. لذا فموضوع الظاهرة الإنسانية (الإنسان) ينقل من كل دراسة لأنه متحرك و واعي و حر.  
**قولة:** {الظاهرة الإنسانية أشبه بالزئبق، كلما حاولنا الإمساك بها استعصى علينا ذلك}

**كلود ليفي ستروس:** الظاهرة الإنسانية صعبة المقارنة لكونها تدرس الإنسان  
الظاهرة الإنسانية صعبة المقارنة، و هذه الصعوبة تكمن في العلاقة بين الذات العارفة و العالمة (الإنسان) و موضوع المعرفة و الدراسة (الإنسان)، حيث يحدث تداخل بين الملاحظ و الملاحظ مما يجعل الشرط الأساسي للعلمية (الموضوعية و الحياد) غائبا، و لا يتحقق هذا الشرط إلا إذا كان موضوع الدراسة (الملاحظ) غير واعي تحت الملاحظة، و غير ذلك يؤثر في مسار التجربة و نتائجها. لهذا فالوعي الإنساني هو العدو الخفي للعلوم الإنسانية.  
**قولة:** {يبدو أن الوعي هو بمثابة العدو الخفي لعلوم الإنسان}

#### التفسير و الفهم في العلوم الإنسانية

**كارل بوبر:** التفسير في العلوم الإنسانية تفسير نسبي  
التفسير في العلوم الإنسانية تفسير نسبي، فهي لا يمكن أن تظاهي العلوم الحقة في مسألة المنهج العلمي، لأن العلوم الطبيعية مثلا تتميز بالثبات و تنظم فيها القوانين الطبيعية، كما تعتمد التعميم و التجريب و التفسير. بينما العلوم الاجتماعية على سبيل المثال تتميز بالتعقيد و التغير المستمرين، لكون الظواهر الاجتماعية ذات طبيعة حرة و تتباين فيها القوانين الاجتماعية، الشيء الذي يجعل نتائجها نسبية و متغيرة في التاريخ، فتفتني بذلك إمكانية التعميم و التجريب و التفسير.

**قولة:** {المذهب التاريخاني يرى أن كل شيء في تحول مستمر و أن الحاضر ناتج عن الماضي}

**كلود ليفي ستروس:** التفسير في العلوم الإنسانية تفسير قاصر  
العلوم الإنسانية لا تستطيع تفسير ظواهرها تفسيراً نهائياً، لكونها ظاهرة: معقدة لتعدد الأسباب المتكيفة فيها، متغيرة بتطور التاريخ و تغير المكان، نسبية لاختلاف ظروف نشأتها من مجتمع لآخر، و واعدة لكونها غير مفهولة عن الذات الإنسانية، لهذا فتنبؤاتها غالبا ما تكون خاطئة، و هذا لا يعني أنها لا تحقق معرفة بالظاهرة الإنسانية، بل فقط هناك قصور في التفسير داخلها.  
**قولة:** {العلوم الإنسانية تجد نفسها وسط الطريق بين التفسير و التنبؤ}

#### مسألة نموذجية العلوم التجريبية

**إميل دوركايم:** الظواهر الاجتماعية قابلة للدراسة الموضوعية و التجريبية  
الظاهرة الاجتماعية التي تشكل موضوع علم الاجتماع هي مجرد أشياء، أي أنها ذات طبيعة خارجية مستقلة عن وعي الأفراد و إراداتهم و تمارس عليهم إلزاما و إكراه و قهرا، مما يجعل منها ظواهر قابلة للدراسة الموضوعية، و بالتالي يفرض ضرورة التخلص من القيم و الأحكام المسبقة التي توطئ فكر العالم أو الباحث الاجتماعي، و بوجع اعتبار الحقائق العلمية في الظواهر الإنسانية علوما خاصة إذا التزم العالم في دراستها بالحياد و الموضوعية، و ذلك بالانفصال عن كل ما هو ذاتي (أحكام قلبية...).

**قولة:** {الظواهر الاجتماعية تشكل أشياء، و يجب أن تدرس كاشياء}

**موريس ميرلوبونتي:** الظواهر الإنسانية غير قابلة للدراسة التجريبية  
الظواهر الإنسانية تعمل على تجزئتها و إهمال تجربتها الذاتية التي تمثل العالم المعيش باعتباره أساس الوجود الإنساني بما يحمله من دلالات و رموز و قصديات لا يمكن تعويضها بأي وجهة نظرية علمية. لذلك لا يجب موضوعة الظاهرة الإنسانية مطلقا، فالمعرفة العلمية الوضعية تجاهلت أهمية الذات في العالم و جعلت منها موضوعا قابلا للدراسة بنفس مناهج العلوم الحقة.

**قولة:** {عالم العلم يبنني بكامله على العالم المعيش}

### النظرية و التجريب

#### التجربة و التجريب

**كلود برنار:** التجربة لا بد لها من النظرية  
التجربة هي الخطوة التي نتحقق من خلالها الفكرة أو الافتراض الذي يبننه العالم حول ظاهرة ما، و لها دور في بناء المعرفة العلمية، إذ تلتزم بخطوات المنهج التجريبي الذي يمر: بدءا من الملاحظة، ثم الفرضية، فالتجربة، إلى إستنتاج و صياغة النظرية أو القانون، أي أنه يقوم على مبادئ أساسيين: إخضاع الفكرة للفحص في ضوء وقائع صحيحة، و معاينة الظاهرة بشكل سليم و شمولي، لذا فالممارسة التجريبية لا بد لها من الفكر النظري الذي يدخل ضمن نطاق الخيال و يتخذ صيغة علمية.

**قولة:** {النظرية ليست شيئا آخر عدا الفكرة العلمية المراقبة من طرف التجربة}

**رونه طوم:** التجريب دائما يحتاج إلى الخيال (الفكر النظري)  
التجربة لوحدها عاجزة عن تفسير الظاهرة، مما يستدعي من العالم أن يكون مجهزا بأدوات و تقنيات، و بأفكار و تصورات قبل إقدامه على فعل الملاحظة، أي باستحضار العقل و التجربة الذهنية قبل التجربة المخبرية، لهذا يلزم في المنهج العلمي الجمع بين الواقعي و الخيالي، أي بين التجريب المرتبط بالواقع و الإختبار و بين التجربة الذهنية المرتبطة بالتظهير و التفكير.

**قولة:** {التجريب وحده عاجز عن اكتشاف أسباب ظاهرة ما، ففي جميع الأحوال ينبغي إكمال الواقع بالخيال}

#### العقلانية العلمية

**محمد أركون:** العقل مر بالعقلانية: الفروسطية ثم الكلاسيكية ثم المعاصرة  
قطع العقل الغربي عدة أشواط و مراحل، بدءا من العقلانية الفروسطية: حيث عرف العقل تهميشا كبيرا و صار دوره ثانويا لتحل محله التعاليم الكنسية اللاهوتية. و مرورا بالعقلانية الحديثة الكلاسيكية: حيث تحرر العقل من سلطة الكنيسة و عرف ثورة كبيرة و تقدسيا مقهرا، لكنها سقطت في الوثوقية و الدوغمانية لكونها تمجد العقل و تؤمن بأنه ينتج يقينيات مطلقة، ثم انتهت بالعقلانية المعاصرة: التي جعلت للعقل دورا نسبيا و مصححا لذاته باستمرار إيمانا منها بكون الخطأ أساس الوصول إلى اليقين.  
**قولة:** {العقل الحديث لا يتراجع عن بلورة المعرفة و الإيمان بإمكانية التقدم}

**جون بيب فرنان:** العقل مر في طبيعته من: العقلانية الكلاسيكية ثم المعاصرة  
العقل ظاهرة إنسانية خاضعة للتطور وفق شروط تاريخية، لذا فهو محايث للتاريخ و مقحم فيه على شكل أنماط من التفكير تقضي إلى معارف مختلفة و تؤسس لتحولات كبرى في مسار المعرفة العلمية، حيث مر في طبيعته من: العقلانية الكلاسيكية التي تعتبر بنية ثابتة و صارمة و مطلقة، إلى العقلانية المعاصرة التي شكلت قطيعة استيمولوجية مع المطلقات الكلاسيكية و صارت أكثر انفتاحا و مرونة و نسبية، و اعتراها بالخطأ في مسارها العلمي، و الذي يعد أساس الحقائق العلمية.

**قولة:** {إن العقل محايث للتاريخ البشري في جميع مستوياته}

#### معايير علمية النظريات العلمية

**ألبرت أينشتاين:** صحة النظرية العلمية تتطلب الخضوع للإنسجام المنطقي  
النظريات في صحتها لا تتطلب إلا الإمتثال لشروط المنهج الأكاديمي (الإنسجام المنطقي) بدل المنهج التجريبي (عدم تطابقها مع الواقع)، إذ أن التجربة لم تعد تشكل أساس المعرفة العلمية، بل صارت عائقا استيمولوجيا يحول دون تقدم هذه المعرفة التي أصبحت تقوم على العمليات العقلية الرياضية القائمة على الاستنباط و الإستنتاج و التماسك المنطقي. لذا فالتجربة ليست سوى مرشد للعقل في وضع الفرضيات و تطبيقها، و المعطيات التجريبية تابعة للعقل لأنه هو الذي أبداع المفاهيم و المبادئ المكونة للنسق النظري للعلم.

**قولة:** {إن المبدأ الخلاق الحقيقي يوجد في الرياضيات}

**كارل بوبر:** صحة النظرية العلمية تتطلب الخضوع لقابلية التزيف  
النظريات العلمية غير قابلة للتحقق التجريبي، إذ أن ما يحكم صحتها هو معيار قابليتها للتزيف و خضوعها للإختبارات التجريبية، فالنظرية العلمية التجريبية الأصلية هي التي تستطيع تقديم الإحتمالات الممكنة و إبراز نقط ضعفها، و إخضاع فرضياتها لقابلية التزيف، بحيث أن التجربة العلمية ليست مطلقة، لذا يجب أن ترفض أي صورة نمطية و علمية مفترضة.

**قولة:** {إن النظريات غير قابلة للتحقق التجريبي أبدا}